نِعْمَةُ الْقُرْآنِ

وَالتَّحْذِيرُ مِنْ هَجْرِهِ

فَضِيلَةِ الشَّيخ الدكتُور

عَبدالله بن عَبدالرَّحِيم البُخَارِيّ

○ الخُطبَة الأولَى:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمَّدًا عبده ورسوله-صَلَّى الله عَلَيه وَعَلى آله وصَحْبِه وَسَلَّم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[٣].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله-تَعَالَى-، وخيرَ الهدي هدي محمَّــد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكـــلَّ

---

[١] [آل عمران:١٠٢]

[٢] [النساء:١]

[٣] [الأحزاب:٧٠-٧١]



بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

وبعد أيُّها المؤمنون:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله-جَلَّ وَعَزّ-سرًّا وعلانية.

ثُمَّ اعلموا-يا رعاكم الله-: أنَّ نِعَمَ الله على عباده كثيرة لا تحصى، وأعظم نِعْمَةٍ ومنَّةٍ إنزاله خير كتبه-القرآن العظيم-على خير رسله، وجعلنا خير أمَّة أخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسْمَحِهَا وأكملها وأعمِّها، قال-عَزَّ فِي عُلَاه-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[٤].

أيُّها المؤمنون:

هذا الكتاب العزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٥]، فهو نورٌ لا تطفأ مصابيحه، وسراجٌ لا يخبو توقُّده، وعزٌّ لا يُهزم أنصاره، وهو معدن الإيْمان، وينبوع العلم والحكمة، جعله الله ريًّا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، ودواءً ليس بعده دواء.

هذا الكتاب هو حبل الله المتين، والذِّكرُ الحكيم، والصراط المستقيم، فيه نبأ مَن قَبْلَنَا، وخبر ما بَعْدَنَا، وحُكم ما بَيْنَنَا، هو الحق ليس بالْهزل،

---

[٤] [آل عمران:١١٠]

[٥] [فصلت:٤٢]



بالحق أنزله الله وبالحق نزل.

مَن عَمِلَ به أُجِر، ومَن حكم به عدل، مَن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿...وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٦].

مَن طلب الهدى منه أعزَّه الله، ومَن ابتغى الهدى من غيره أذلَّه الله، يرفع الله به أقوامًا ويضع آخرين، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[٧].

أيُّها المؤمنون:

هذا الكتاب شفاء ورحمة، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[٨].

---

[٦] [آل عمران:١٠١]

[٧] [فاطر:٢٩-٣٠]

[٨] [يونس:٥٧]



قال الإمام قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فيما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن[9] بسند لا بأس به: (...ما جالس أحد القرآن إلَّا فارقه بزيادة أو نقصان، قال: ثُمَّ قرأ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[10].

وأخرج الأمام ابن ماجة في سُنَنِه[11] والحاكم في مستدركه[12] بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قال: (عَلَيْكُمْ بِالشِّفَائَيْنِ الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ).

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [إغاثة اللهفان][13] عن شفاء القرآن، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ متكلِّمًا عن شفاء القرآن، قال: (...هو شفاء ودواء لِجُمَّاع أمراض القلب–أمراض الشبهات والشهوات–إذ فيه البراهين القاطعة ما يبيِّن الحق من الباطل فتزول أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصوُّر والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه.

---

[9] [ص: ٥٦–٥٧/ دار ابن كثير]

[10] [الإسراء:٨٢]

[11] [كتاب الطب: ٣٤٥٢]

[12] [كتاب الطب: ٨٢٢٥]

[13] [إغاثة اللهفان/ج:١، ص: ٩٩–١٠٢/ باب: في أن القرآن متضمن لأدوية القلب وعلاجه من جميع أمراضه/ دار ابن الجوزي]



ففيه إثبات المعاد، والنبوَّات، والصفات، وردٌّ النحل الباطلة، والآراء الفاسدة، فهو شفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك، ولكنَّ ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه...).

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وأما شفاؤه لِمرض الشهوات فذلك بِما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، والأمثال والقصص التي فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه في معاشه ومعاده، ويرغب عمَّا يضره فيصير القلب مُحبًا للرشد مبغضًا للغي، فالقرآن مزيل للإمراض الموجهة للإرادات الفاسدة فيصلح القلب فتصلح إرادته...).

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق... فيتغذَّى القلب من الإيمان والقرآن بِمَا يزكيه ويقوِّيه ويؤيده ويفرحه ويسرُّه وينشطه ويثبت ملكه كما يتغذى البدن بِمَا ينمِّيْه ويقوِّيه، وكل من القلب والبدن محتاج إلى أن يربى فينمو ويزيد حتى يكمل ويصلح، فكما أنَّ البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغدية المصلحة له والحمية عمَّا يضره فلا ينمو إلَّا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو

ولا يتم صلاحه إلَّا بذلك، ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلَّا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو نزر يسير لا يحصل له به تمام المقصود، وكذلك الزرع لا يتم إلَّا بهذين الأمرين، فحينئذ يقال : زكا الزرع وكمل...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَغفَرَ له.

أيُّها المؤمنون:

هذا القرآن يشفع يوم القيامة لِمَن قرأه وعمل به، أخرج مسلم في الصحيح[١٤] عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ) أي: السحرة.

وأخرج الإمام مسلم في الصحيح[١٥] عن النَّواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ..... تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا).

---

[١٤] [٢٥٢ - (٨٠٤)]

[١٥] [٢٥٣ - (٨٠٥)]



وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما أخرجه الستَّة إلَّا مسلم واللفظ للبخاري: (إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[١٦]، وفي لفظٍ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[١٧].

وهذا الحديث أيُّها المؤمنون: ظاهرٌ في فضل القرآن، لأنَّ الخيريَّة في التعلُّم والتعليم تقتضي خيريَّة وأفضليَّة الْمُتَعلَّم وهو: القرآن الكريم.

أيُّها المؤمنون:

يغلط بعض الناس أو كثير من الناس فيظن أنَّ أهل القرآن هم من يتلونه فقط، وهذا غلط بيِّن، ذلك أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أنبأنا عن صفة الخوارج قال كما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...) الحديث مخرَّج في الصحيحين[١٨].

فأهل القرآن-يا رعاكم الله-على الحقيقة هم: من يؤمنون بكتاب الله، وأنَّه مُنْزَل من عنده جَلَّ وَعَلَا، وأنَّه صفة من صفاته، وأنَّه من كلامه

---

[١٦] [صحيح البخاري: ٥٠٢٨]

[١٧] [صحيح البخاري: ٥٠٢٧]

[١٨] [صحيح البخاري: ٥٠٥٨] واللفظ له، [صحيح مسلم: ١٤٧ - (١٠٦٤)]



جَلَّوَعَلَا على الحقيقة ليس بِمخلوق منه بدأ وإليه يعود كما هي عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وكذا يعملون بِما دلَّ عليه وأرشد إليه.

قال الْمناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير[19]، قال: (...أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به، سُمُّوا بذلك تعظيمًا لَهم كما يقال: بيت الله...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأهل القرآن الذين تقدَّم وصفهم جاء في فضلهم حديث شريف نبيل بسند حسن أخرجه الإمام أحمد[20] وابن ماجة[21] والآجري في أخلاق أهل القرآن[22] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟، قَالَ: (هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)[23]، والحديث حسن.

عكفوا عليه دراسةً، وحفظًا، وتدبُّرًا، وترتيلًا، وعبادةً، ولَهجوا به ذكرًا، قاموا به علمًا وعملًا ودعوةً فاستحقوا أن يكونوا من أهله.

---

[19] [٣ / ٨٧]
[20] [مسند الإمام احمد: ١٢٢٩٢]
[21] [سنن ابن ماجة: ٢١٥] واللفظ له
[22] [٨/ أخلاق أهل القرآن، ص: ٤٨]
[23] [صحيح الجامع: ٢١٦٥]



أخرج الإمام الترمذي في جامعه[٢٤] وقال: حسن صحيح، أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ) وجوَّده الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[٢٥].

قال الإمام الآجري-رَحْمَةُ الله عَلَيْه-في أخلاق أهل القرآن: (...أَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ، وَهُدًى لِمَنِ اهْتَدَى بِهِ، وَغِنًى لِمَنِ اسْتَغْنَى بِهِ، وَحِرْزٌ مِنَ النَّارِ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنِ اسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ...).

وقال: (...ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ فَيُحِلُّوا حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ وَيَقُولُوا: ﴿...ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا...٧﴾[٢٦]، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَالدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهُ عَزَّوَجَلَّ إِذَا هُمْ تَلَوْا

---

[٢٤] [٢٩١٠]

[٢٥] [السلسلة الصحيحة: ٣٣٢٧]

[٢٦] [آل عمران:٧]



كِتَابَهُ أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَحْسَنُوا اسْتِمَاعَهُ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَلَهُ الْحَمْدُ، ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّ مَنْ تَلَا الْقُرْآنَ وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، فَإِنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الَّذِي لَا بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...)[27] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أيُّها المؤمنون:

هذا الكتاب العظيم فيه أسرارٌ عظيمةٌ جليلة، أمَّا أسراره فعظيمةٌ وجليلةٌ أعظم من أن تدركها العقول.

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد[28]: (...وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر وإنَّما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراء وإن باديه إلى الخافي يسير...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فمن عظيم خصائصه وأسراره: أنَّه حوى كلَّ أمر ينفع البلاد والعباد، ويصلح المعاش والمعاد من عقيدة وشريعة وأخلاق وسلوك، وردِّ باطل وتقرير حق وعِبَرٍ وتذكرة ونذَارَة.

---

[27] [أخلاق أهل القرآن/ ص: ٣٢-٣٣/ دار الكتب العلميَّة، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ]

[28] [بدائع الفوائد/ ج:٣، ص: ٤٨/ سورة الناس/ دار البيان العربي]



قال الإمام مسروق بن الأجدع رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فيما أخرجه الإمام أبو عبيد في الفضائل وابن أبي شيبة في المصنَّف[٢٩]: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَعِلْمَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ).

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وإذا تأمَّلت القرآن وتدبرته وأعرته فكرًا وافيًا اطلعت فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق والمعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لِمَن بصَّره الله وأنعم عليه بفهم كتابه...)[٣٠] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ اعلموا–يا رعاكم الله–: أنَّه لا يُعرَف مظلومٌ تواطأ كثير من الناس على ظلمه وزهدوا في إنصافه كالقرآن الكريم، فلله ما أقلَّ عارفيه.

وإنَّ أحدنا لو ذهب يبحث عن العاملين به بِحقٍّ وصدقٍ في أغلب ما يرى ويسمع لأعياه طِلَابه، اتخذ كثيرٌ من الناس القرآن مهجورًا، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، صحف ومجلَّات، حكايات وثقافات، وقصاصات تموج بِها الدنيا صباح مساء.

---

[٢٩] [٣٤٨٧٣]

[٣٠] [بدائع الفوائد/ ج:٤، ص:٤٧١/ فصل أسرار المناظرة من القرآن الكريم/ دار البيان العربي]



قــــــال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ...﴿١١٦﴾ ﴾[٣١]، وقال-جلَّ وعــزّ-: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ...﴿٣٦﴾ ﴾[٣٢].

والعجب أيُّها المؤمنون:

والعجب العجاب الآخذ باللبِّ واللباب أنَّ كثيرًا من الناس بينهم كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وقد أحاط بِهم الظلام من كل جانب فيتخبَّطون فيه خبط العُشَراء، العجب كلَّ العجب أنَّ النور بين أيديهم ثُمَّ لا يهتدون إليه سبيلًا.

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[٣٣].

---

[٣١] [الأنعام: ١١٦].

[٣٢] [يونس: ٣٦]

[٣٣] [المائدة: ١٥ - ١٦]



بارك الله لي ولكم في القرآن والسنَّة، ونفعني الله وإيَّاكم بِمَا فيهما من الآيات والحكمة.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم إنَّه كان بِعباده غفورًا.

○ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على محمَّد بن عبد الله-صَلَّى الله عَلَيْه وَعَلَى آلِه وَصَحْبِه وَسَلَّم-، وبعد:

أيُّها المؤمنون:

إنَّ المتأمِّل في الواقع اليوم يجد أنَّ كثيرًا من أهل الإسلام شغلوا وشغلوا أنفسهم بِمَا يضرُّهم ولا ينفعهم، وابتعد كثيرٌ منهم عن نورهم وأبْعِدُوا عنه، اشتغلوا بالسياسة، والرياسة، وحبِّ الزَّعامة، وعلومٍ دنيويَّة لا خير في كثير منها، ومالٌ يُجمع، ولَهَثٌ وراء اللذات والمهلكات عبر وسائل متعدِّدَة تنشر الشرَّ والغزو الأخلاقي والعقدي، شبهات وشهوات.

فما هذا التقصير-يا رعاكم الله-عن الرجوع إلى المعين الصافي والمنهل العذب الذي لا ينضب؟.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾[٣٤].

تقصير ينذر بخطر عظيم، والسعيد كلُّ السعادة من رجع وآب، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ ﴾[٣٥].

قال الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفوائد[٣٦] متكلِّمًا عن هجر القرآن، قال: (...هجر الْقُرْآن أَنْوَاع:

أَحدهَا: هجر سَمَاعه وَالْإِيمَان بِهِ والإصغاء إِلَيْهِ.

وَالثَّانِي: هجر الْعَمَل بِهِ وَالْوُقُوف عِنْد حَلَاله وَحَرَامه وَإِن قَرَأَهُ وآمن بِهِ.

وَالثَّالِث: هجر تحكيمه والتحاكم إِلَيْهِ فِي أصُول الدّين وفروعه واعتقاد أَنه لَا يُفِيد الْيَقِين وَأَن أدلته لفظية لَا تحصّل الْعلم.

وَالرَّابِع: هجر تدبّره وتفهّمه وَمَعْرِفَة مَا أَرَادَ الْمُتَكَلّم بِهِ مِنْهُ.

وَالْخَامِس: هجر الِاسْتِشْفَاء والتداوي بِهِ فِي جَمِيع أمراض الْقلب وأدوائها فيطلب شِفَاء دائه من غَيره ويهجر التَّدَاوِي بِهِ وكل هَذَا دَاخل

[٣٤] [الروم: ٧]
[٣٥] [ق: ٣٧]
[٣٦] [الفوائد لابن القيِّم/ ص: ٨٧-٨٨/ دار ابن الجوزي]



فِي قَوْله ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[٣٧]

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (...وَإِن كَانَ بعض الهجر أَهْون من بعض...)أهـ.

ثُمَّ تكلَّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أنواع وصور الهجر، ثُمَّ قال: (...وكذلك الحرج...)، ثمَّ قال: (...فَكل هَؤُلَاءِ فِي صُدُورهمْ حرج من الْقُرْآن، وهم يعلمُونَ ذَلِك من نُفُوسهم ويجدونه فِي صُدُورهمْ، وَلَا تَجد مبتدعًا فِي دينه قطّ إِلَّا وَفِي قلب حرج من الْآيَات الَّتِي تخَالف بدعته، كَمَا أَنَّك لَا تَجِد ظَالِمًا فَاجِرًا إِلَّا وَفِي صَدره حرج من الْآيَات الَّتِي تحول بَينه وَبَين إِرَادَته، فَتدبر هَذَا لِمَعْنى ثمَّ ارْض لنَفسك بِمَا تشَاء...) انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلكم أيُّها المؤمنون أن تتأمَّلوا هذه الأنواع من الهجر وكلُّ امرئ حجيج نفسه ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾[٣٨].

ثُمَّ لتعلموا-يا رعاكم الله-أنَّ السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ من الصحابة والتابعين وأئمَّة الدين فرحوا بهذا القرآن أشدَّ الفرح لعلمهم أن الهداية والسعادة والنجاة والخير والفلاح في الدارين هو بالاعتصام بِهمَا-بالكتاب وبسنَّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ ءَالِهِۦ وَسَلَّمَ ولزوم منهج السلف الصالح

---

[٣٧] [الفرقان: ٣٠]

[٣٨] [القيامة: ١٤ – ١٥]



رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ-، وأنَّ العلم النافع المثمر للعمل الصالح فيه دونَمَا سواه، تأمَّلوا-رَحِمَهُمْ الله-قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ...﴿٢٣﴾﴾[39].

وقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾[40]، في آيات كثيرة.

وهذا سيِّد الأوَّلين والآخرين صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ يقول عنه عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (...قالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ)، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قَالَ: (إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾[41] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ)[42]، متَّفق على صحَّته.

---

[39] [الزمر: ٢٣]

[40] [السجدة: ١٥]

[41] [النساء: ٤١]

[42] [صحيح مسلم واللفظ له: ٢٤٧ - (٨٠٠)] و [صحيح البخاري: ٥٠٤٩]



وعن عبد الله بن الشِّخِّير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (...أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ....)، أخرجه الإمام أحمد[٤٣] والنسائي[٤٤] والترمذي في الشمائل[٤٥] بسند صحيح.

وهذا الصدِّيق الأكبر أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جاء في البخاري عن عائشة الصدِّيقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (...لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ...).

إلى أن قالت: (...ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ...)[٤٦].

وفي الصحيح أيضًا أنَّها قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا أمرهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يأمروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (...إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ

---

٤٣ [١٦٣١٢] و [١٦٣١٧] و [١٦٣٢٦]

٤٤ [سنن النسائي: ١٢١٤]

٤٥ [مختصر الشمائل المحمَّدية: ٢٧٦]

٤٦ [صحيح البخاري: ٤٧٦]



البُكَاءِ...)[٤٧]، وقد كانوا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يحرصون على ختمــه، وقراءتــه، والعمل به.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: (...أخرج الحافظ ابــن أبي داوود عن عثمان وابن مسعود وتَميم الداري أنَّهم كانوا يختمون في ســبعٍ...) أي: في سبع ليال، قال: (...وأسانيدها صحيحة...).

وأخرج ابن أبي شيبة رَحِمَهُٱللَّهُ عن هشام بن عروة-رَحْمَةُ الله عَلَيْه- أنَّه كان يقول: (...كَانَ عُرْوَةُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ...)[٤٨].

وذكر الإمام ابن قدامة رَحِمَهُٱللَّهُ عن عبد الله بن أحمد قال: (...كَانَ أَبِي...) أي: الإمام أحمد (...يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ سَبْعَةٍ يَقْــرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سُبُعًا، لَا يَتْرُكُهُ نَظَرًا...)[٤٩].

ثُمَّ اعلموا-يا رعاكم الله-: أنَّ التدبُّر في كتاب الله وتفهُّمه أعظم من إقامة حروفه، قال الإمام عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيما أخرجه ابــن أبي شيبة في مصنَّفه: (...إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَاشْغَلُوهَا بِالْقُرْآنِ، وَلَــا تَشْغَلُوهَا بِغَيْرِهِ...)[٥٠].

---

[٤٧] [صحيح البخاري: ٦٧٩]
[٤٨] [مصنَّف ابن ابي شيبة: ٨٥٨١]
[٤٩] [المغني: (٦١١/٢)]
[٥٠] [مصنَّف ابن أبي شيبة: ٣٠٠١١]



وقال الإمام يحيى ابن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَعَلُّمُ الْفِقْهِ صَلَاةٌ، وَدِرَاسَةُ الْقُرْآنِ صَلَاةٌ)[51].

ولِهذا كان من وصيَّتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُم ومنهم عبد الله بن مسعود أن قال: (...يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ...) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

أيُّها المؤمنون:

هذا واقع سلفكم الصالح مع كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، وليقارن الواحد منَّا فعله بفعلهم ثمَّ لينظر بِمَ يخرج، وإنَّ من المحزن المبكي أنَّ كتاب الله يتلى بين أظهر كثير من المسلمين، ومع هذا قلَّت العيون التي تدمع والقلوب التي تخشع، عيونٌ خلت من الدمع فهي خراب بلقع.

تتلى آيات الله فلا الشباب منَّا ينتهي عن الصَّبوة ولا الكبير منَّا يلتحق بالصفوة، ولقد فرَّط كثيرون في كتاب ربِّنا في الخلوة والجلوة.

[51] [حلية الأولياء/ مسألة: ٢١٠- يحيى بن أبي كثير]



فاللهم رحمتك نرجو ومغفرتك نطلب، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، سبحان ربك رب العزَّة عمَّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قام بتفريغها: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الاثنين الموافق: ١٩/ جمادى الآخرة/ ١٤٣٤ للهجرة النبوية الشريفة.

